بسم الله والحمد لله

إعلم أيها الإنسان أيها المسلم أيها العابد أيها المؤمن

أن العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم وأعظمها،

وكلما ازداد علم العبد بها، وامتلأ قلبه بمعرفتها،

أثمر له ذلك ثمرات جليلة، في قلبه، وفي سيره وطريقه إلى لله،

..وسارع إلى طاعة الله ومرضاته

وإن كثرة التسبيح لله تعالى من تمام العبودية لله ملك الملوك،

ومن يتدبر أسماء الله تعالى وصفاته يلازم الحمد ويثابر عليه،

<u>هذا الذكر :ونتسائل لماذا يجب أن نهتم بتدبر</u>

وهو:

سبحان الله

التسبيح:

هو الكلام الذي يدل على تنزيه الله تعالى عن كل النقائص

فأصل التسبيح من السَّبح وهو البُعد.

ومعنى تنزيه الله من السوء

تبعيده عنه، تبعيده،

وكذلك تسبيحه من قولك

سبحتُ فى الأرض

إذا أبعدتَ فيها

وأصلُ التسبيح لله :قال ابن جرير

:عند العرب

التنزيه له من إضافة ما ليس من

.صفاته إليه، والتبرئة له من ذلك

:فالله بعيد عن

أن يكون له زوجة

أو يكون له ولد أو شريك

الله بعيد أن يكون فيه صفة نقص افتراها عليه بعض الخلق

نتيجة:

(ضلا له أو جهله أوغفلة أوسوء فهم أوقلة ألباب)

فيقولون على الله مالا يعلمون

والله بعيد عن كل تنقيص

بعيد عن كل شيء يقلل من عظمته

وكلمة تسبيح هي

(تنزيهه)تبعيد الله عن النقائص

نزه :النون والزاء والهاء كلمة تدل على

.بعد في مكان وغيره

بعيد عن المطامع الدّنيّة :ورجل نزيه الخلق

ومنه قيل :فلان يتنزه عن الأقذار؛

أي :يباعد نفسه عنها ...

وهو يتنزه عن الشيء :إذا تباعد عنه،

يتنزه عن بوله : أي يبعد البول

عن مكان خروج البول بعد إخراجه

حديث جيد رواه الحاكم فى صحيحه فقوله صلى الله عليه وسلم :

(استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه) وفى لفظ :

(أكثر عذاب القبر من البول)

أي ابعدوا آثار البول من المكان الذي خرج منه البول

وإن فلانًا لنزيه كريم :إذا كان بعيدًا من اللؤم،

يقال :هم قوم أنزاه؛ أي :يتنزهون عن الحرام، الواحد نزيه

وفلان يتنزه عن ملائم الأخلاق؛ أي :يترفع عما يذم منها

التنزيه شرعا :

هو إجلال الله وتعظيمه عن كل ما لا يليق به شرعًا،

مع إثبات الكمال المطلق له تعالى

العلاقة بين المعنى اللغوي و المعنى الشرعي

لا شكَّ أن المعنى الشرعي للتنزيه هو جزء من المعنى اللغوي؛ لأن المعنى اللغوي أوسع منه إذ

هو يدور حول التبعيد عن الشيء دون تقيد.

ولكن ينبغي أن يعلم أن **اتصاف الله بما يليق به من الصفات**

نجد أنه)لايوجد فيه مشابهة البشر في حقائق الصفات كما يتوهمه المتكلمون وسائر المخالفين(،

حيث الجهلاء ينفون الصفات الثابتة عن الله تنزيهًا له

((على زعمهم))

التسبيح :وهو ما **دلَّ على التنزيه** والتبرئة من النقائص بدلالة المطابقة **واستلزم إثبات الكمال**

لماذا يجب تنزيه الله ؟

يجب تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به من النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقين؛ **لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.**

قال أبو المظفر السمعاني الشافعي رحمه الله» :وتنزيه الله ـ عزَّ اسمه ـ ألا يوصف بوصف لا يليق به«

وقال ابن تيمية رحمه الله :

»والتنزيه الذي يستحقه الرب يجمعه نوعان :

أحدهما :نفي النقص عنه،

والثاني :نفي مماثلة شيء من الأشياء فيما يستحقه من صفات الكمال،

فإثبات صفات الكمال له مع نفي مماثلة غيره له يجمع ذلك،

وقال ابن القيم رحمه الله» :إطلاق **السلام على الله تعالى اسمًا من أسمائه** هو أولى من هذا كله، وأحق بهذا الاسم من كل مسمًّى به؛ **لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه،**

فهو السلام الحق بكل اعتبار،

أما المخلوق سلام بالإضافة،

فهو سلام سبحانه في ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وهم، وسلام في صفاته من كل عيب ونقص،

وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة؛

بل هو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار،

فعلم أن استحقاقه تعالى لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه .وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزه به نفسه ونزّهه به رسوله«

عن ماذا ننزه الله ؟

ينزَّه الله عن:

- **كل عيب**؛ كالعمى والعجز واللغوب والنوم والسِّنَة ونحوها من العيوب.
- **كل نقص في كماله**؛ كنقص في علمه وقدرته وعزته وحياته ونحو ذلك.

فالله كامل العلم كامل القدرة كامل الحياة كامل التدبير كامل الحكمة كامل الإرادة كامل المُلك كامل الرحمة له الكمال في كل شيء

- **عن مماثلة المخلوقين**؛ كأن يجعل سمعه كسمع المخلوق، أو علمه كعلم المخلوق، أو حياته كحياة المخلوق ونحو ذلك

وتقول العرب

إذا أنكرت الشيء وأعظمته سبحان الله،

فكأنّه تنزيه الله عز وجل عن كلِّ سوء،

(أي أن الله بعيد عن هذا السوء الذي رأوه)

وبعيد عن هذا المنكر

ما ضوابط التنزيه:

لقد جمع الله تعالى فيما **وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله بين التنزيه والإثبات،**

كما قال تعالى:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وَ (هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى)

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) **جملة نفي** عن نفسه أن يكون هناك شيء مثله

(هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) **جملة إثبات** صفات الكمال له في السمع والبصر

فنزه (أبعد) ذاته المقدسة عن مماثلة المخلوقين وأثبت لذاته المقدسة صفات الكمال.

وقد انحرف النفاة في مفهوم التنزيه، **فجعلوا إثبات الصفات تشبيهًا وتجسيمًا ونفيها عن الخالق سبحانه عين التنزيه.**

وهذا ضلال وانحراف عن هدي الكتاب والسُّنَّة، وخروج عن سبيل سلف الأمة.

و**الضابط في التنزيه** :أن **ينفى عن الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله** صلّى الله عليه وسلّم من النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقين،

ويجمع ذلك :

إثبات صفات الكمال لله **مع نفي** المماثلة له فيها

لاحظنا أنه ليس مجرد تنزيه أو نفي محض بل فيه إثبات الكمال،

التسبيح : تنزيه يتضمن التعظيم،

ودليل تضمنه التعظيم قول النبى عليه الصلاة والسلام

«فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ

الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ] «رواه مسلم [1/348:

والوارد فى الركوع تسبيح. سبحان ربي العظيم

ويجب أن نعلم :

لا أحد أعلم بالله من الله،

ولا أحد من الخلق أعلم بالله

من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،

قال الله تعالى(قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ**)**البقرة :140 :،

وعن أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها

عن النبي صلّى الله عليه وسلّم

أنه قال ((إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا)).

فما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلّى الله عليه وسلّم فيجب إثباته له، وما نزَّه الله نفسه عنه، أو نزهه عنه رسوله صلّى الله عليه وسلّم فيجب تنزيهه عنه ولا نتجاوز في هذا القرآن والحديث كما ذكر أئمة السُّنَّة.

وقد جاء التسبيح في القرآن بمختلف تصاريفه وصيغه في سبعة وثمانين موضعا،

وافتتحت به سبع سور سميت (المسبحات)وهى :

الإسراء والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى، وختمت به سور الحجر والطور والواقعة والحاقة.

الفعل قد يكون :

الفعل المتعدي بنفسه :ما يصل إلى المفعول به مباشرة أي :بغير واسطة حرف الجر، مثل :بريت القلم

والفعل المتعدي بغيره :ما يصل إلى المفعول به بواسطة حرف الجر، مثل :ذهبت بك بمعنى :أذهبتك

والفعل ((سبح))قد يتعدى بنفسه

بدون اللام كقوله تعالى ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الهاء تعود الى لفظ الجلالة]الأحزاب[42 : **وقد يتعدى باللام** كقوله ﴿ سَبَّحَ للهِ ﴾ (ل الله)اللام حرف جر (الحشر ١)، وعلى هذا **فسبحه وسبح له (لغتان)**مثل شكره وشكر له

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله" :

والأمر بتسبيحه

يقتضي تنزيهه عن كلِّ عَيبٍ وسُوءٍ،

وإثباتَ المحامد التي يُحمد عليها،

فيقتضي ذلك

تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده"

قوله تعالى(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ)

أي" :سبِّحه بما حمد به نفسه؛

إذ ليس كلُّ تسبيحٍ بمحمود

" إذ ليس كلُّ تسبيح بمحمود "كلامٌ فى غاية الأهميَّة والدقَّة؛

إذ إنَّ تسبيح الله بإنكار صفاته وجحدها وعدم إثباتها أمرٌ لا يُحمد عليه فاعله، بل يُذمُّ غايةَ الذمّ،

-

ولا يكون بذلك من المسبّحين بحمد الله،

بل يكون من المعطّلين المنكرين الجاحدين،

ويكون هؤلاء من الذين نزّه الله نفسه عن قولهم ووصفهم بقوله تعالى .

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

وَسَلَامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ)

نجد هنا أن الله

سبّح نفسه عمّا وصفه به المخالفون للرسل

وسلَّم على المرسلين

لسلامة ما قالوه في الله من النقص والعيب

إنَّ تسبيحَ الله وتنزيهَه وتقديسَه وتعظيمَه

يجب أن يكون وفق الضوابط الشرعيّة وعلى ضوء الأدلّة النقليّة،

ولا يجوز بحال أن يُبنى ذلك على

الأهواء المجرّدة،

أو الظنون الفاسدة،

أو الأقيسة العقليّة الكاسدة

فضل التسبيح

السنّة مليئةٌ بالنصوص الدّالة على عظيم شأن التسبيح، وشريف قدره، وجزيل ثواب أهله، وبيان ما أعدّ الله لهم من أجورٍ كريمةٍ، وأفضالٍ عظيمةٍ، وعطايا جمَّةٍ .وقد تضمّنت تلك النصوص الدلالةَ على ذلك من وجوهٍ كثيرةٍ:

ومن ذلك أنَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أخبر أنَّ

التسبيح أفضل الكلام وأحبُّه إلى الله،

قولُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم **أحبُّ الكلام إلى الله أربع:**

" سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر."

وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي ذرٍّ

أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِل :**أيُّ الكلام أفضل؟**

قال" :

ما اصطفى الله لملائكته أو لِعباده :

سبحان الله وبحمده." "

وفي لفظ آخر للحديث أنَّ أبا ذرّ قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :ألا أُخبرُك بأحبِّ الكلام إلى الله؟ قلتُ :يا رسول الله أخبرني بأحبِّ الكلام إلى الله .قال :

إنَّ **أحبَّ الكلام إلى الله :** سبحان الله وبحمده." "

فدلّ هذا الحديث على عظيم مكانة هذه الكلمة عند الله عز وجل.

ومِن فضائل التسبيح ما أخبر به النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ مَن قال :سبحان الله وبحمده **في يومٍ مائة مرّة** حُطَّت عنه ذنوبُه ولو كثُرت .

ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال" :مَن قال :

سبحان الله وبحمده **في يوم مائة مرّة**

حُطَّت خطاياه وإن كانت مِثلَ زَبَدِ البحر."

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنَّ

من قالها في الصّباح مائة مرّة وفي المساء مائة مرّة،

لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامة بأفضلَ مما جاء به، إلاّ مَن قال مثل ذلك وزاد عليه

روى مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال :كُنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

"أيَعجزُ أحدُكم أن يكسب كلَّ يومٍ ألفَ حسنةٍ؟

فسأله سائلٌ من جلسائِه :كيف يكسب أحدُنا ألفَ حسنة؟

قال :يسبّح مائة تسبيحة فيُكتبُ له ألفُ حسنةٍ

أو يُحطُّ عنه ألفُ خطيئةٍ."

ومما ورد في فضل التسبيح **إخبار** النبيِّ صلى الله عليه وسلم

عن ثِقل التسبيح في الميزان يوم القيامة

مع خفّة ويسر العمل به في الدنيا

.ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"كلمتان حبيبتان إلى الرّحمن،

خفيفتان على اللّسان،

ثقيلتان في الميزان :سبحان الله وبحمده،

سبحان الله العظيم ".

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث" :**كلمتان "هي خبرٌ مقدَّمٌ** مُبتَدَؤُه "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"، قال بعض أهل العلم" :والنكتة في **تقديم الخبر يعتبر تشويقُ السّامع إلى المبتدأ**، وكلَّما طال الكلام في وصف الخبر حسُن تقديمه؛

لأنَّ كثرةَ الأوصاف الجميلة تزيد السّامع شوقاً"

.وقد وُصفت الكلمتان في الحديث بثلاثة أوصاف جميلةٍ عظيمةٍ، وهي أنَّهما حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان.

وقد خُصَّ لفظ الرحمن بالذِّكر هنا؛ لأنَّ المقصود من الحديث بيانُ سِعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، والأجر العظيم، فما أيسرَ النطق بهاتين الكلمتين على اللسان، وما أعظم أجر ذلك وثوابه عند الكريم

ومن فضائل هذه الكلمة العظيمة، ما رواه الترمذي، وابن حبّان، والحاكم، وغيرهم، من طريق أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال" :مَن قال :سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له نخلةٌ في الجنَّةِ)،

وله شاهدان:

أحدهما :من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ موقوفاً، خرّجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه٢.

والآخر :من حديث معاذ بن سهل مرفوعاً، خرّجه الإمام أحمد في مسنده.

ومن فضائل هذه الكلمة ما رواه الطبراني، والحاكم، من حديث نافع بن جُبير بن مطعم، عن أبيه، قال

:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :

مَن قال **سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهمّ وبحمدك،**

أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك،

فقالها في **مجلس ذكرٍ** كانت كالطّابع يطبع عليه،

ومَن قالها في **مجلس لغوٍ** كانت كفَّارة له."

قال الحاكم" :هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وصحّحه العلاّمة الألبانيُّ.

وروى الترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال" :مَن جلس في مجلس فكثُر فيه لغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك :سبحانك اللهمّ ربّنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلاّ غُفر له ما كان في مجلسه ذلك."

فهذه جملةٌ من الأحاديث الواردة في التسبيح

والدّالة على عظيم فضله وثوابه عند الله،

سؤال :**لماذا قُرن الحمد مع التسبيح؟**

وفي أكثر هذه الأحاديث **قُرن الحمد مع التسبيح** لله تعالى؛ وذلك لأنَّ

التسبيح هو تنزيه-(إبعاد) -ونفي النقائص والعيوب عن الله

و**التحميدُ** فيه إثباتُ المحامد كلّها لله عز وجل،

والإثبات أكملُ مِنَ السّلب،

ولهذا لم يَرِد التسبيحُ مجرّداً،

لكن ورد مقروناً بما يدلّ على إثبات الكمال،

فتارةً يُقرنُ بالحمد كما في هذه النصوص،

وتارةً يُقرنُ باسم من الأسماء الدّالة على العظمة والجلال، كقول :سبحان الله العظيم،

وقول :سبحان ربّي الأعلى، ونحو ذلك.

والتنزيه يكون مدحاً عندما يتضمّن معنىً ثبوتيًّا، ولهذا عندما نزَّه الله تبارك وتعالى نفسه

عمّا لا يليق به ممّا وصفه به أعداء الرُّسل

سلَّم على المرسلين الذين

يثبتون لله صفات كماله وجلاله

على الوجه اللاّئق به،

وذلك في قوله تعالى : سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلاَمٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وفي هذه الآية أيضاً حمد الله نفسه بعد أن نزّهها؛

وذلك لأنَّ الحمدَ فيه إثباتُ كمال الصفات،

والتسبيحَ فيه تنزيه الله عن النّقائص والعيوب،

فجمع في الآية بين التنزيه عن العيوب بالتسبيح وإثبات الكمال بالحمد،

وهذا المعنى يرِد في القرآن والسّنة كثيراً،

فالتسبيحُ والحمدُ أصلان عظيمان وأساسان متينان يقوم عليهما المنهجُ الحقُّ في توحيد الأسماء والصفات، وبالله وحده التوفيق.

إنَّ الله تعالى لكمال عظمته، ولتمام ملكه وعزَّته، تسبِّحُ له جميعُ الكائنات، من سماء، وأرض، وجبال، وأشجار، وشمس، وقمر، وحيوان، وطيرٍ، وإنْ مِن شيءٍ إلاّ يُسبِّح بحمده.

يقول الله تعالى :تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً،

ويقول تعالى

(**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ**)،

ويقول تعالى

(وسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ)

وقال تعالى(**إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ**)

فهذه النصوص العظيمة تدلُّ دلالة ظاهرة

أنَّ جميعَ الكائنات تسبِّح اللهَ عز وجل، فالحيوانات تسبِّح لله، والنباتات تسبِّح لله، والجمادات تسبِّح لله، وإنْ مِن شيءٍ خلقه الله إلاّ يسبِّح بحمد الله عز وجل، وإنْ كُنّا لا نفقه تسبيحه،

وهو تسبيحٌ حقيقيٌّ يصدر من هذه الكائنات بلسان المقال،

وليس بلسان الحال كما يدّعيه بعضهم، واللهُ جلّ وعلا يجعل لهذه الكائنات إدراكات تسبِّح بها يعلمها هو جلّ وعلا ونحن لا نعلمها، كما قال سبحانه

(وَإِن مِن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)

قال الإمام أبو منصور الأزهريُّ رحمه الله في كتابه تهذيبُ اللغة" :وممّا يدلُّك على أنَّ تسبيح هذه المخلوقات تسبيحٌ تُعُبِّدت به، قول الله جلّ وعزّ للجبال(يَاجِبَالَ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْر)،

ومعنى أوِّبي أي سبِّحي مع داود النّهار كلّه إلى الليل،

ولا يجوز أن يكون معنى أمر الله عزّ و جلّ للجبال بالتأويب

إلاّ تعبُّداً لها، وكذلك قوله عزّ و جلّ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ والجِبَالُ والشَّجَرُ والدَّوَابُّ وكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)

فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقهها عنها

كما لا نفقه- (لانفهم) - تسبيحها، وكذلك قوله(وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ)، وقد علم الله هبوطها من خشيته، ولم يعرّفنا ذلك، فنحن نؤمن بما أعلمنا ولا ندّعي بما لم نكلّف بأفهامنا، مِن عِلْمِ فِعلِها كيفيّةً نحدّها كلامه رحمه الله،

وهو كلام عظيم وتقرير حسن.

وقال النووي رحمه الله بعد أن أشار إلى ما قيل في المراد بالتسبيح، قال" والصحيح أنَّه يسبِّح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزاً بحسبه."

وهذا القول هو القول الحق في هذه المسألة بلا ريب، فالله تبارك وتعالى هو الذي بيده أزمّةُ الأمور،

وهو القادرُ على كلِّ شيء، وهو سبحانه الذي أنطق كلَّ شيء،

لا يتعاظمه أمر، ولا يُعجِزه شيء في الأرض ولا في السماء، إنَّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

وأمّا قولُ من قال :إنَّ هذا التسبيح ليس حقيقياً وإنَّما هو تسبيح بلسان الحال فقط فهو قول مجانبٌ للحقيقةِ، بعيدٌ عن الصواب،

ولا يعضُدُه دليل، بل الأدلّةُ صريحةٌ في عدم صحّتِه.

وليس هذا الأمر بأعجب من تسبيح الحصا في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتسبيحُ الطعام وهو يُؤكل، وقد كان يسمع ذلك الصحابةُ رضي الله عنهم.

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال" :كنّا نعدُّ الآيات بركة وأنتم تعدّونها تخويفاً، كنا مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم في سفرٍ فقلَّ الماءُ، فقال :اطلبوا فضلةً من ماء، فجاؤوا بإناء فيه ماءٌ قليل، فأدخل يدَه في الإناء ثم قال :حيَّ على الطهور المبارك، والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل ."

فلله ما أعظمها من آيةٍ تدلّ على كمال المرسِل سبحانه، وصدق المرسَل صلواتُ الله وسلامُه عليه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله" :وأمّا تسبيح الطّير مع داود عليه السلام فتسبيح الجبال الصمّ أعجبُ مِن ذلك، وقد تقدّم في الحديث أنّ الحصا سبّح في كفِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن حامد :وهذا حديثٌ معروفٌ مشهورٌ، وكانت الأحجارُ والأشجارُ والمدرُ تسلِّم عليه صلى الله عليه وسلم.

وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود قال" :لقد كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل "يعني بيد النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وكلّمه ذراعُ الشّاة المسمومة وأعلمه بما فيه من السُّمِّ، وشهدت بنبُوَّته الحيواناتُ الإنسيّة والوحشيّة، والجمادات أيضاً كما تقدّم بسط ذلك كلِّه، ولا شكّ أنَّ صدور التسبيح من الحصا الصغار الصمّ التي لا تجاويف فيها أعجبُ مِن

صدور ذلك من الجبال لما فيها من التجاويف والكهوف، فإنَّها وما شاكلها تردّد صدى الأصوات العالية غالباً كما قال عبد الله بن الزبير كان إذا خطب وهو أمير المدينة بالحرم الشريف تجاوبه

الجبال أبو قبيس وزَرُود، ولكن من غير تسبيح، فإنَّ ذلك من معجزات داود عليه السلام

والشّاهد مِن ذلك كلِّه هو أنَّ هذه الكائنات تسبّح الله تعالى تسبيحاً حقيقاً لا يفقهه النّاس ولا يسمعونه، وقد يشاء الله فيُسمِع بعض ذلك من يشاء مِن عباده كما في النصوص المتقدّمة.

ولا ريب أنَّ في هذا أَعظمَ عبرةٍ وأجلَّ عِظةٍ للنّاس إذ تدبّروا في حال هذه الجبال وهي الحجارة الصلبة والصخور الصّمّاء كيف أنَّها تسبّح بحمد ربِّها وتخشع له وتسجد وتشفق وتهبط من خشيته، وكيف أنّها خافت من ربِّها وفاطرها وخالقها على شدّتها وعِظم خلقها من الأمانة إذ عرَضَها عليها وأشفقت من حملها.

<u>قال ابن القيّم رحمه الله وهو يتحدّثُ عن هذا الباب</u>

العظيم" :فسبحان من اختصَّ برحمته من شاء مِن الجبال والرِّجال ...هذا وإنَّها لَتعلمُ أنَّ لها موعداً ويوماً تنسف فيها نسفاً، وتصير كالعهن من هوله وعظمه، فهي مشفقةٌ من هول ذلك الموعد، منتظرةٌ له ...فهذا حال الجبال وهي الحجارة الصلبة، وهذه رقّتُها وخشيتُها وتدكدكها من جلال ربِّها وعظمته، وقد أخبر عنها فاطرُها وباريها أنَّه لو أنزل عليها **كلامه لخشعت ولتصدّعت من خشية الله.**

فيا عجباً من مضغة لحمٍ أقسى مِن هذه الجبال تسمع آيات الله تتلى عليها ويُذكرُ الرّبُّ فلا تلين ولا تخشع ولا تنيب " ...١.

فنسأل الله جلّت قدرته وتبارك اسمه أن يحييَ قلوبَنا بالإيمان، وأن يعمُرَها بذكر الكريم الرحمن، وأن يعيذنا من الرّجيم الشيطان، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

سبحان الله وبحمده

عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

سبحان الله عدد مافي السماوات والأرض

سبحان الله ملء مافي السماوات والأرض

سبحان الله عدد ما أحصى كتابه

سبحان الله ملء ما أحصى كتابه

سبحان الله عدد كل شيء

سبحان الله ملء كل شيء